الجريمة

دراسة الجريمة من وجهة نظر اجتماعية

- المحاضرة الثامنة

جَامعة
المَنارة
MANARA UNIVERSITY

The Study of Crime from Social Point of View

LECTURE.10

دراسة الجريمة من وجهة نظر اجتماعية

- **أولاً- تعريف الجريمة:**
- **١. من وجهة نظر اجتماعية:**
- تعد الجريمة ظاهرة اجتماعية وجدت في الماضي ولا تزال موجودة حتى يومنا هذا،
- وقد اصطلحت المجتمعات البشرية على تسمية الخروج على ما رسمته من مبادئ بأنواعها بأنه جريمة وأن فاعلها مجرم.
- فالجريمة إذاً نوع من أنواع الخروج على قواعد السلوك، التي يضعها المجتمع لأفراده،
- وأن المجتمع هو الذي يحدد ماهية السلوك العادي وماهية السلوك المنحرف أو الإجرامي، وفقاً لقيمه ومعاييره.

دراسة الجريمة من وجهة نظر اجتماعية

- الجريمة ظاهرة اجتماعية وخلقية وسياسية واقتصادية قبل ان تكون حالة قانونية.
- وانطلاقاً من هذا المفهوم نرى أنها عبارة عن:
- تعبير للموازنة بين صراع القيم الاجتماعية والضغوط المختلفة من قبل المجتمع.
- فالإجرام نتيجة لحالة الصراع بين الفرد والمجتمع.
- إذ تمثل الجريمة من وجهة نظر علماء الاجتماع "التضاد مع المجتمع" لذلك يميل علماء الاجتماع إلى وضع تعريف اجتماعي مؤداه:
- إن الجريمة هي سلوك ضار بالمجتمع ورفاهية أعضائه.

- **ويعرف جارفالو الجريمة بأنها:**
- " الجريمة سلوك معاد للمجتمع".
- فعالم الاجتماع الفرنسي (**إميل دوركهايم**) يعرف الجريمة:
- على أنها «ظاهرة طبيعية تمثل الضريبة التي يدفعها المجتمع ويتحمل الفرد آثارها».
- أما العالم (**وليم بونجيه**) فيرى ان الجريمة هي:
- «فعل يقترف داخل جماعة من الناس تشكل وحدة اجتماعية وتضر بمصلحة المجتمع ويعاقب عليه بعقوبة اشد قسوة من مجرد رفضها القانوني».

- وللعوامل الاجتماعية علاقة وثيقة في ارتكاب وحدوث الجريمة حيث تتمثل في مجموعة الظروف التي تحيط بشخص معين تميزه عن غيره.
- وتعد الأسرة من أقوى العوامل الخارجية التي تؤثر في تكوين شخصية الفرد وتتحكم في سلوكه وتوجيهه ففيها يمارس تجاربه الأولى ومنها يستمد خبراته. وتعد الأسرة المفككة أحد الأسباب الرئيسية في تكوين السلوك الإجرامي.
- ومن أهم مظاهر تفكك الأسرة هو التفكك المادي الذي يراد به غياب أحد الوالدين أو كليهما معا في نطاق الأسرة، وتؤكد الإحصاءات ان الصلة وطيدة بين التفكك الأسري المادي وبين ارتكاب الجريمة.
- فقد أثبتت الإحصاءات الفرنسية أن (٤٠%) من المجرمين العاديين ينتمون إلى اسر مفككة، وفي الولايات المتحدة دلت الإحصاءات إن (٦٧%) من المجرمين ينتمون إلى اسر مفككة.

- **٢. تعريف الجريمة من وجهة نظر علم النفس:**
- ينظر الاتجاه النفسي إلى السلوك الإجرامي على أنه سلوك شاذ مرضي صادر عن الشخصية المضطربة نفسياً وذلك بالنسبة لأغلب حالات المجرمين.
- وبعبارة أخرى أن شخصية المجرم لا تختلف في جوهرها وفي تكوينها النفسي الأساسي عن شخصية المريض نفسياً،
- كما يرون أن كل فعل إجرامي ما هو إلا دلالة وتعبيراً عن الصراعات النفسية التي تدفع صاحبها إلى ارتكاب الفعل الإجرامي.
- ويعزز هذا التفسير السيكولوجي للجريمة الباحث ألكسندر Alexander مؤكداً على أن السلوك الإجرامي ما هو إلا نتيجة للاضطراب في مكونات الشخصية الثلاث الهو، و الأنا، و الأنا الأعلى في تكييفها مع منظومة الأخلاق والمعايير السائدة في المجتمع،
- **فهي كخلاصة إشباع لغريزة إنسانية بطريق شاذ لا ينتهجه الرجل العادي في إرضاء الغريزة نفسها والخلل في هذه الغريزة يكون مصحوباً بعلة أو أكثر في الصحة النفسية.**

- وبناء عليه فإن السلوك الإجرامي ما هو إلا نوع من السلوك الشاذ المرضي يحتاج إلى العلاج، كما تحتاج الأمراض العقلية إلى العلاج والرعاية،
- وقد أشار برت Burt إلى أن التصرفات الإجرامية ما هي في آخر الأمر إلا انطلاق الدوافع الغريزية انطلاقاً حراً لا يعوقه عائق،
- ويرى أنه من الممكن النظر إلى أنواع الانحرافات المختلفة كالسرقة والاعتداء والاغتصاب والجرائم الجنسية وغيرها على أنها تعبيرات لغرائز معينة.
- مما ورد يتضح أن علماء النفس قد ركزوا في دراساتهم وتحليلهم للسلوك الإجرامي بإرجاعه إلى جوانب داخلية نفسية تتعلق بالدرجة الأولى بخلل في الشخصية،
- وهذا الخلل يؤدي بطريقة آلية إلى إنتاج سلوك شاذ، غير سوي معاد للمجتمع ولا يحظى بقبوله بل العكس يرفضه ونبذه.

ثانياً-بعض النظريات المفسرة لظاهرة الجريمة:

- إن النظرة العلمية للتطور التاريخي للإنسان التي كانت نظرة فردية، بشعبتيها البيولوجية والنفسية،
- أخذت تتلاشى مع بداية القرن العشرين أمام اتجاه آخر يعطي أهمية كبرى للعوامل الاجتماعية وأثرها في حياة الإنسان.
- وقد تمخض عن هذا ظهور اتجاه تكاملي يرى أن الإنسان وحدة سيكوبيولوجية تحيط بها بيئة اجتماعية أكثر شمولاً.
- وفيما يلي عرض موجز لأهم أفكار هذه النظريات والاتجاهات من منظور حديث أو معاصر:

ثانياً-بعض النظريات المفسرة لظاهرة الجريمة:

- **١. الاتجاه البيولوجي:**

- يعتقد أنصار هذا الاتجاه أن السلوك الإجرامي يرجع إلى استعداد فطري بيولوجي موروث في الفرد، فهناك علاقة بين السلوك الإجرامي وتكوين الجسم من ناحية الكفاية الوظيفية لأجهزته المختلفة وخاصة المخ والجهاز العصبي والغدد.
- ويعد سيزار لمبروزو Lamboraco, C. زعيم هذا الاتجاه وصاحب التفكير الأساسي في تفسير الجريمة بردها إلى أسباب فطرية بيولوجية، لذا فإنه يعد بحق مؤسس المدرسة الوضعية في علم الإجرام التي تسلم بالحتمية البيولوجية للسلوك الاجتماعي.

ثانياً-بعض النظريات المفسرة لظاهرة الجريمة:

- وقد كان لمبروزو طبيباً مهتماً بدراسات علوم الأحياء ووظائف الأعضاء والتشريح وكان مؤمناً بأن الوراثة هي العامل المسؤول عن تكوين السلوك الإجرامي،
- حيث أنه ابتكر نظرية "المجرم بالفطرة" أو "المجرم المطبوع" فالمجرم يولد مزوداً باستعداد طبيعي للقيام بالأعمال الإجرامية، وحاول أن يحدد لنا الملامح الطبيعية المجرم في عدة خصائص مثل:
- ضخامة الفك وضيق الجبهة، واندفاع الأذن بعيداً عن الرأس، وبروز الوجنات، واستطالة الرأس ... الخ مما تعرض له في دراسته المتعددة عن "الرجل المجرم" و "المرأة المجرمة".

ثانياً-بعض النظريات المفسرة لظاهرة الجريمة:

- ٢. **الاتجاه النفسي:**
- المدرسة النفسية هي امتداد للمدرسة البيولوجية، على الرغم من رفضها لبعض الآراء والأفكار التي تبنتها مع اهتمامها بالاضطرابات العاطفية وما يشابهها عند الحديث عن المزاج الفردي.
- وقد أرجعت الانحراف إلى اضطراب في طبع الإنسان، ورأت أن تفسير السلوك الجانح يجب ألا ينظر إليه كغاية في حد ذاته بقدر ما هو أسلوب حركي لإنشاء علاقة مع الآخرين تكمن وراءه دوافع أساسية مثل:
- الدافع الجنسي أو العدواني.
- ومن المفيد القول بأن المدخل النفسي لا ينفصل عن المدخل الاجتماعي في تفسير الجناح. فقد اهتمت دراسات عديدة بدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية التطبيع الاجتماعي في نمو السلوك غير السوي.

ثانياً-بعض النظريات المفسرة لظاهرة الجريمة:

- **ومن أهم نظريات علم النفس في تفسير الجناح والانحراف، نظرية «التحليل النفسي»:**
- حيث تعزى الجريمة إلى اختلال في الجهاز النفسي للشخصية المتمثل في الهو والانا والانا الأعلى من حيث بناء هذا الجهاز وقوته وضعفه والعلاقة بين عناصره الثلاثة وبين الواقع المحيط من ناحية أخرى.
- إلى جانب ما ينشأ في النفس من صراع ودوافع مكبوتة تؤدي إلى أساليب سلوكية لا شعورية شاذة للدفاع عن ذات الفرد.
- وهذا يؤدي إلى السلوك اللاسوي بمختلف صوره (السلوك الذهاني أو السلوك العصابي أو السلوك الإجرامي).
- عندما يخفق الأنا في إشباع متطلبات الهو تنمو ميكانزمات الدفاع، فتستعين بالتعويض والنكوص والإسقاط، والكبت، وبذلك يلعب اللاشعور دوره في توجيه السلوك الإنساني.

ثانياً-بعض النظريات المفسرة لظاهرة الجريمة:

- **ويرى فرويد:**
- إن المجرم قد يفلح في كبت نزعاته وإسقاطها في اللاشعور، ولكنه مع ذلك يعود للتعبير عنها رمزياً بسلوك يعتبر جريمة في نظر القانون.
- وإجمالاً فإن الجريمة تعود إلى أحد الأمرين:
- ١. إما عجز الأنا عن مواجهة ضغوط الهو من جهة، وصرامة الأنا الأعلى من جهة ثانية، وفشلها في التوفيق بين نزعات الأولى ومثل الثانية.
- ٢. وإما إلى تخلف الأنا الأعلى نفسها أو ضعفها بحيث لا تجد الأنا من يزودها بالقوة بحيث تكون قادرة على الردع، وفي كلتا الحالتين تجد الهو نفسها بدون رقيب فتفعل ما تريد.

ثانياً-بعض النظريات المفسرة لظاهرة الجريمة:

- ٣. **الاتجاه الاجتماعي:**
- تعد النظرية الاجتماعية وليدة القرن العشرين، تركز دراستها على البيئة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية وأثارها على البنية والتنظيم الاجتماعي والتفكك الاجتماعي وثقافة المجتمع، انطلاقاً من تعريف الجريمة الذي يشمل على ثلاثة عناصر أساسية هي:
  - فعل، والذي يتضمن السلوك أو الامتناع عن القيام بواجب معين.
  - وفاعل، الذي يتخذ الفعل صفة الجريمة كأن يكون شخصاً أو جماعة.
  - وردود الفعل الاجتماعية التي تصاحب عادة الفعل الانحرافي أو الجريمة.

- والنظرية الاجتماعية ترى أن الجريمة تعتبر وليدة المجتمع والتنظيم الاجتماعي الذي يحتويه، حيث أكد أميل دوركهايم على ارتباط الجريمة بالمجتمع ارتباطاً لا مناص عنه والذي يعني أن الظروف الاجتماعية هي المسببة للجريمة.
- ووفقاً لذلك تشتمل النظريات الاجتماعية في تفسير السلوك الانحرافي والجريمة على نظريات كثيرة ومتنوعة، وسنتناول أهم تلك النظريات وهي:

- **ا. مفهوم اللامعيارية**
- يمثل مفهوم اللامعيارية مفهوماً أساسياً في التفسير الاجتماعي للانحراف وهو مشتق من الكلمة اليونانية Anomos أي ضعف القانون وفقدان القدرة على الانضباط وانعدام الشكل أو النموذج وانعدام الأخلاق.
- وبالتالي فالمصطلح يعني بهتان المعايير وفقدان سيطرتها على سلوك الأفراد، ولكن جرت العادة على الأكثر باستخدامه ليعني حالة من حالات المجتمع تنطوي على عدم اتفاق جوهري بين أفراده على معايير ملائمة، وحين تجمع جماعة من الناس على عدم الاتفاق فيما بينهم على أتباع معايير ملائمة فلا يمكن للمرء أن يعتبرهم مجتمعاً.

- ويرى دوركهايم Durkheim أن فقدان المعايير في المجتمع يحصل نتيجة لعدم اكتمال التحول من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي، وحينئذ يكون التقدم في تقسيم العمل في المجتمع قد تحقق بأسرع من تحقق التقدم في الأساس الأخلاقي لهذا التقسيم، ومن ثم تكون بعض جوانب هذا المجتمع منظمة بطريقة غير كافية، وهنا يكون فقدان المعايير.
- وعلى هذا فاللامعيارية في نظرية دوركهايم تشير إلى حالة اضطراب يصيب النظام أو حالة من انعدام الانتظام أو التسيب ومن ثم تكشف هذه الحالة عن مظاهر انحرافية أي تكون مظهراً للانحراف.

- **د- نظرية المخالطة الفارقة:**
- وتعتمد نظرية المخالطة الفارقة أو نظرية الاختلاط التفاضلي كما يسميها بعضهم على شرح كيفية انتقال السلوك الإجرامي عن طريق التعليم عن الآخرين أو من خلال الاحتكاك بالمنحرفين في تعلم الأشكال الإجرامية والبواعث والمبررات التي تشجع على ارتكاب الجريمة من خلال علاقات شخصية وثيقة بين الأفراد المنحرفين.
- وبالتالي فالسلوك الإجرامي حسب مثله مثل أي شكل آخر من السلوك، يتم تعلمه من خلال اختلاط الأفراد الوثيق بالآخرين،
- ويشمل هذا التعليم الاتجاهات نحو القانون ونحو أساليب ارتكاب الجريمة.
- فالصبية الذين ينشئون في مناطق يكون الجُناح فيها منتشر سوف يتعلمون أن يصبحوا جانحين، أما إذا نشئوا في مناطق أخرى فلن يتعلموا ذلك.

- يصبح الشخص منحرفاً بسبب توصله إلى مجموعة تحديدات أو تعريفات تجعل مخالفة القانون مسألة ملائمة، وهي تفوق التحديدات والتعريفات الأخرى التي تجعل مخالفة القانون مسألة غير ملائمة.
- وهذا هو مبدأ المخالطة الفارقة الذي يشير إلى الارتباطات الإجرامية وغير الإجرامية في نفس الوقت، فعندما يصبح الشخص مجرماً، يكون ذلك راجعاً إلى مخالطته واتصالاته بالنماذج الإجرامية، وعزلته عن النماذج غير الإجرامية.
- يمكن للمخالطات الفارقة أن تتفاوت من حيث: التكرار، والأولوية، والكثافة وهذا يعني أن الارتباطات بالسلوك الإجرامي وبالسلوك غير الإجرامي تتفاوت في هذه النواحي.
- تتضمن عملية تعلم السلوك الإجرامي عن طريق الاختلاط بنماذج إجرامية وغير إجرامية، جميع الميكانزمات التي توجد في أي نوع آخر من التعليم.
- إذن فتعلم السلوك الإجرامي ليس قاصراً على عملية واحدة هي "التقليد" كما ترى بعض وجهات النظر الأخرى.

- **هـ- نظرية الوصم أورد الفعل الاجتماعي:**
- مع بداية حقبة الخمسينيات ظهر اتجاه جديد في نظرية علم الجريمة، وهو ما أطلق عليه "نظرية الوصم" أو "رد الفعل الاجتماعي" الذي ينظر إلى السلوك الإجرامي باعتباره (وصمة) توسم كل من يقوم بخرق القواعد والمعايير التي حددها المجتمع، فبمجرد إدانة الشخص في جريمة ما يلقب بالمجرم وتظل وصمته الإجرامية عالقة في تاريخه الاجتماعي متعرضاً بسببها للعزلة والانطواء والمهانة،
- وتؤكد هذه النظرية على الأضرار المترتبة على وصم المجرم والتي تظل مرافقة له ولكل من له علاقة قرابة به.

- **وتقوم هذه النظرية على أساس إيضاح قضيتين هما:**
- أنه قد تتكون هوة بين حكم بعض الأفراد على سلوكيات معينة وحكم الجماعة التي ينتمون إليها، ففي الوقت الذي يبيح الأفراد لأنفسهم إبداء تلك السلوكيات نجد الجماعة تجرمها وتحكم على فاعلها بكونه خارجاً عن قواعد الإجماع بالمجتمع، وهذه هي الوصمة الاجتماعية.
- أما القضية الثانية والجوهرية في هذه النظرية فتتمثل في الأبعاد العكسية أو السلبية لقوة الضبط الاجتماعي على الأفراد والتي قد تدفعهم للإجرام بعد فقدانهم ما كانوا يسعون إلى بلوغه وهو الصيت الحسن وشهادة الأخلاق الاجتماعية، وهذا هو الجديد الذي تطرحه هذه النظرية.

انتهت المحاضرة

شكراً لإصغائكم

د. محمد فرحه